مقدمة كلمة د. يعقوب الحجي

عندما شرعنا في إعداد هذا الإهداء عن العم النوخذة عيسى العثمان رحمه الله طلبت من الأخ الأكبر د. يعقوب يوسف الحجي حفظه الله ورعاه التأكد من حصر توثيقاته عن المرحوم، فأكرمني مشكوراً مأجوراً غير مأمور بهذه الكلمة.

كلمة د. يعقوب الحجي في النوخذة عيسى عبدالله العثمان

حين بدأ اهتمامي بلقاء نواخذة السفر الشراعي في الكويت، كان النوخذة عيسى عبدالله العثمان ثاني نوخذة وفقني الله تعالى للقائه (بعد النوخذة علي ناصر النجدي عام ١٦٧٩م) ، وحين زرته في مكتبه داخل مدينة الكويت وجدته يتحلى بصفات الشخصيات الكويتية المميزة لهم – هدوء وتفرس في الغريب عليهم بطريقة مؤدبة وذكية ، دون حكم مسبق عليه أو التقليل من شأنه دون إعطائه الفرصة ليعبر فيها عن نفسه وغرضه – هكذا قابلني النوخذة عيسى بأدب واحترام .

وبعد ترددي عليه وإعجابي بشخصه وبحديثه وبشبابه الذي قضى جله بين أمواج الخليج وغرب المحيط الهندي ، سألته من سجل له يدعى (روزنامة) أو اليوميات – تلك التي كان يدونها خلال رحلاته البحرية ، فأجابني بالإيجاب لذا تشجعت وطلبت منه أن يرني هذا السجل ، لحدد لي موعداً آخر ليطلعني على سجله هذا ، وحين جلسنا في

مكتبه فتح لي دفتراً وطلب مني أن أقرأ صفحة منه ، وبما أني كنت في أول الطريق فقد كانت قرأتي غير دقيقة، فكان يصلح لي أخطائي ويشرح لي الكثير من المصطلحات البحرية (على طريقة المعلمين القدامى وبنفسٍ طويل وسعة صدر) ، وبعد عدة جلسات ، وحين اطمأن إلى نيتي وعزمي لمعرفة المزيد عن البحر ورجاله ورحلاته البحرية ، سلم لي سجل هذا (الروزنامة) طالباً مني أن أعتني بها (في مركز البحوث والدراسات الكويتية) ، فكانت أثمن هدية أتلقاها (أنا والمركز هذا) ، لقد أتم هذا المركز طباعتها ونشرها بعد ذلك (عام ١٩٩٩م) .

وتوالت زياراتي لهذا النوخذة الفاضل، فكنت كلما زرته استمع منه إلى قصص وحوادث مرت عليه وعلى بحارته خلال قيادته لسفينته وهو شاب لم يتعدى الثلاثين من عمره ، تاركاً أبناءه الصغار في رعاية والده في الوطن .

ولقد حدثني الكثير عن سنوات شبابه هذه التي نثرها بين أمواج الخليج وبحر العرب وغرب المحيط الهندي، وكان إيمانه الصادق بخالقه وبعده عن الحرام ونيته الصادقة من أساسيات نجاحه وحسن توفيقه ولله الحمد والمنة.

وحين اضطر إلى ترك البحر وقيادة السفن الشراعية ، أصبح تاجراً ناجحاً يسنده رصيد من الخبرة القيمة في التعامل مع غيره من النواخذة والتجار والوسطاء في شتى بنادر الخليج وغرب المحيط الهندي ، وكان مع انشغاله في تجارته يعطي من وقته لكل

من زاره في ديوانه أو في مكتبه من الباحثين بحماس وبصدر رحب ، لذا قام المؤرخ العم سيف مرزوق الشملان بإجراء لقاء تلفزيوني معه (ضمن برنامجه الناجح : " صفحات من تاريخ الكويت ") ، كما قمت ذاتي بإجراء لقاء مماثل معه (محفوظ في أرشيف مركز البحوث والدراسات الكويتية) .

ولقد كان النوخذة والتاجر عيسى العثمان يدير تجارته بكفاءة وبفاعلية كبيرة، مثلما كان يدير فيها سفينته وبحارته بكل توفيق ونجاح ، معلماً ومدرباً ابناءه على الأساليب التجارية الناجحة، وكان مثاله الأكبر في هذا التاجر محمد ثنيان الغانم.

وفي أواخر سنوات حياته كنت ما أزال أتردد عليه لزيارته في مكتبه وفي ديوانه. وفي آخر زيارة لي لشخصه لمَحَني عن بُعد وهو يَهم بدخول مكتبه ماسكاً العُكاز بيده، فهتف بي قائلاً : " يا دكتور حين كنا شباباً كنا نركُض باحثين عن الفلوس ، واليوم نبحث عن العافية ...

وكل لعبة لابد لها من (أي كلمة تقال) بس ". هكذا كان وداعي لهذا الفاضل النوخذة عيسى عبدالله العُثمان.

وأني لأحمد الله تعالى أن وفقني للقاء هذا النوخذة الذكي والنشط ولقد كان لقائي به فاتحة خير لي ، كما كانت روزنامته فاتحة خير أيضاً، إذ أعقبتها الكثير من الروزنامات القيمة للعديد من نواخذة السفر الكويتيين، كذلك سعدت حين طلب مني مساعدته في

إصداره كتابه القيّم (المُختار في مجاري البحار) الذي قام مركز البحوث بإصداره عام ١٩٩٦.

واليوم وبعد أن غادرنا النُوخذة عيسى وبحارته الأوفياء وزملائه النَواخذة زاد إعجابنا بهم وبعملهم وبإخلاصهم وتقبلهم ما انتهوا إليه دون شكوى من أحد أو تذمر من مسئول – لقد كانوا أبناءً أوفياء لوطنهم ولمدرسة الحياة التي تعلموا فيها . فبعد أن تكسرت الصواري وتمزقت الأشرعة زاد أيضاً حُبنا لهم وللبحر الذي ركبوه وللوطن الذي عملوا تحت رايته.

إن البحر حزين اليوم على رجاله هؤلاء حُزناً يوازي حُزننا نحن اليوم على فِراقهم عنا، يرحمهم الله جميعاً .

د. يعقوب يوسف الحجي

٢٠٢٤/٣/٢٧م

١٧ رمضان ١٤٤٥هـ